

بدعة الانشغال بالاعجاز المظني عن التدبر الميقيني

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب رئيس تحرير جريدة الرياض مقالاً بعنوان: (المقرآن بلغة المعلم) في العديدين 12607 و 12608 عام 1423هـ حول فرحته بمنهاج جديد في الدين دل عليه د. (زغلول النجار)، فرأيت تنبيهه وقراء جريدته إلى ما يلي:

1- الواجب في مثل هذا الأمر الرجوع إلى وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفقه أئمة القرون المفضلة فيه، قال الله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نول ما نولى النساء: 115).
2- د. زغلول هداانا الله وإياه ليس بأول من قال على الله بغير علم فقد سبقه (رشاد خليفة) الذي بهر عقول أشباه العوام من المثقفين بادعائه أن كل سور القرآن تنقسم على رقم 19 أو مضاعفاته، وشجعه ذلك على التنبؤ بيوم القيامة، ثم اتهم بادعاء النبوة والانتماء إلى فرقة ضالة تقديس الرقم (19) واغتيل.
وقبل ذلك سبقه (المكواكبي ت1320هـ) للابتداع في التأويل.

ثم تبعه الشيخ (طنطاوي جوهري ت1358هـ) في تفسيره (الجواهر).
وكل من وُلغ في تفسير كلام الله الميقيني بالظن في هذا العصر من (المكواكبي) إلى (زغلول النجار) ليس لهم من الإحاطة بشرح الله وبالعلوم الطبيعية ما يعذرهم في القول على الله والاندحاف عن منهاج النبوة وفقه القرون المفضلة فيه.
ولكن اثنان من العلماء سبقوا متأخري المفكرين تجاوزوا الله عن وعنهم جميعاً: فكما فتح (الغزالي - ت505هـ) الباب للخلط بين التصوف والإسلام، فتح الباب للخلط بين الفقه والفكر في فهم نصوص الوحي في كتابه: (إحياء علوم الدين) وكتابه (جواهر القرآن) وتبعه (المفخر الرازي - ت606هـ) في تفسيره (مفاتيح الغيب)، والاثنتان من أئمة الانحراف في الاعتقاد والتأويل.
3- يظلم المعلم الشرعي بدعواكم: أن زغلول النجار: (تمتكن من العلوم الشرعية)؛ فلم يعرف عنه تمكّن - بل - ولا اهتمام بالمعلم الشرعي ولما دعوة إلى إفراد الله بالعبادة ونفيها عن أوثان المقامات والمزارات والمشاهد التي أحاط بها وأحاطت به أكثر سنوات عمره خلافاً لمنهاج كل رسل الله وكل رسالاته، ولما حاول قط نشر السنة ولما التحذير من البدع.

أما لقب الدكتوراه في الجيولوجيا فلا يجيز له وأمثاله الاعتداء على تأويل كلام الله تعالى الذي أسقط عن مثله صفة العلم الميقيني الشرعي وإن كان له نصيب من العلم المظني الدنيوي: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون* يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) [الروم: 6-7].

4- دعواه: (خطأ حصر التعليم الديني بعلوم فقهية محدودة) ودليله: (أن علماء الدين الأوائل فيهم الطبيب والفيزيائي والفلكي) ذاتجة عن انحراجه عن منهاج العلم الشرعي وبأعده عن الفقه في دين الله، وبالتالي: وجوب إبعاده عن منابر الإعلام الديني والدعوة إلى الله وبخاصة في بلاد الدعوة إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة، فليس بين علماء الأمة المعتد بهم في القرون المفضلة طبيب ولا فيزيائي ولا فلكي ولا فيلسوف، وكانوا يحصرون العلم والتعليم الديني في الاعتقاد والعبادات والمعاملات من الوحي في الكتاب والسنة وفقه السلف في نصوصهما، ولم يلتفت المسلمون إلى المهن والفنون التي ذكرها إلا بعد مرحلة الضعف والانهيار بالفكر اليوناني والاهتمام بترجمته ثم النسخ على منواله في الفكر المنسوب إلى الدين.

وما مثله إلا كمثله سيد قطب تجاوز الله عنا وعنهم جميعاً عندما خيّل له (نقص منهاج التفسير في القرون المفضلة لانشغال المفسرين بالأهداف الدينية التي تناولها عن إظهار الجمال الفني في القرآن التصوير الفني في القرآن) ص 27، 31، 239، ط9 دار الشروق؛ فاستدرك سيد قطب النقص الذي تخيّل له في القرون المفضلة؛ فوصف آيات الله وكلماته بالسحر (ص 17، 25)، وبالعرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاها العسكرية (ص 97)، وبما يشبه الشعر (ص 102 - 105)، وبالظن والتصوير والرسم، وبالتعويدة وما فيها من خفاء وهينمة وغموض وإبهام، وبالمشاهد المسرحية والسينمائية (ص 114، 115)، واستعان بموسيقى (ص 102) ورسام (ص 114) لضبط المصطلحات المظنية في وصفه كتاب الله بلغة الملهو.

5- (الاجتهاد السلفي الواحد) الذي أبدى المكاتب (أسفه لاكتفائنا به) هو وحده الحق، لقول الله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: 153]، وخط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مستقيماً وخطوطاً خارجة عنه، مبيناً أن على المسلم اتباع الخط (الواحد) وتجنب المخطوط الأخرى، وقال الله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نول ما نولى النساء: 115)، وهؤلاء هم السلف من الصحابة والتابعين

وتابعيهم، وهم وحدهم الذين يؤخذ عنهم حتى تتحد الأمة على منهاج النبوة فلا تتفرق بهم سُبُل الفكر عن سبيل الله، وهم الأقرب إلى عصر النبوة وهم أعرف باللغة التي نزل بها كتاب الله قبل أن تفرق لغة وسائل الإعلام - في هذا العصر - المسلمين عنها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

6 - آيات الكتاب المبين: إمّا محكمة، عرف السلف الصالح معانيها وعملوا بها، ولن يأتي عالم - فضلاً عن جيولوجي أو كاتب أو طبيب - بخير مما هداهم الله له، وإما متشابهة، فلا يجوز البحث عن معانيها، قال الله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) [آل عمران: 7].

7 - لقد سبق المنصاري إلى مثل هذا الانحراف - كالعادة - كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم" متفق عليه، فحاولوا الاستدلال على صحة الإنجيل بموافقتهم لظواهر الكونية، ولما تغيرت النظريات سقطت في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا، وأصيب المتدين النصراني المحرف بنكسة لم يفق منها إلا اليوم إذ قدر الله حدوث ما يسمى بالصحة الدينية لسبب وغاية لا يعلمها إلا الله.

وآخر ما أطلعت عليه في هذا الطريق المعوج استدلال اليهود على صحة التوراة بما ظهر من التنقيب في وادي الأردن مبيناً أن ثمن الرقيق في عهد موسى موافق لما نص عليه في التوراة المحرفة.

والمظن بأن اليهودي الذي ذكره المكاتب (سيغري من ذوابته العدائية للإسلام) إذا دعى زغلول المنجار أن رقم سورة الحديد في المصحف 57 هو الوزن الذري للحديد، وأن آخر آية في السورة مع البسملة هي العدد الذري للحديد - كما ذكر في المجلة العربية عدد 296 - إن ما هو الدوهم والاثم، ولكن قد يرضى اليهود والمنصاري متابعة المسلم لهم في تحريف كتاب الله بتأويله بما يخالف سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعيه رضي الله عنهم؛ قال الله تعالى: [وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَبْعَ مِلَّتَهُمْ] [البقرة: 120].

وتأويل زغلول المنجار قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ) [النمل: 88]، مجرد ترديد لما قاله مصطفى محمود وأمثاله لا يقوله عالم بكتاب الله، ولو قرأ الآية قبلها ل علم أن ذلك في الآخرة: (وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ) [النمل: 87]. والآية: (وَيَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا* وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) [المطور: 9-10]، والآية: (وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالُ) [المكف: 47].

وقبل أن يشيع أن الأرض كروية) اتضح لعلماء التفسير واللغة المعتد بهم بل لطلاب العلم: أن للشمس كل يوم مطلع ومغرب، وفسروا به ذكر المشارق والمغارب جمعاً وتثنية وإفراداً، فكل ما يقوله (زغلول) إن ما هو من زخرف القول وغروره، إضافة إلى ادعاءاته التي تبهر الصحفيين والعوام وأشباههم فينشرونها دون تثبت عن (عدد الذين أسلموا) لما سمعوا تفسيراً يهجر يقين الوحي ويأخذ بظن الفكر العلماني، وعن العالم الأوروبي المجهول في (ذكر المشاهد القرآنية عن علم الأجنّة).

وكفى بالمسلم ضلماً تفسير اليقين الإلهي بالظن البشري من غير مسلم أو من مسلم جاهل بشرع الله..

لنا أشك ولنا أشك في نيته وأمثاله، ولكن من الواضح أن الشيطان يركبهم مطايا في المصد عن التدبر الذي أنزل كتاب الله لأجله: (كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) [ص: 29].

8 - لا يجوز المساواة بين الشيخ (علي الطنطاوي) رحمه الله وبين (د. زغلول المنجار)، فالأول - خلافاً للثاني - عالمٌ بشرع الله وداعٍ إلى الله على بصيرة ومعروف بصحة المعتقد وصحة العبادة، ومهنته القضاء الشرعي والدعوة، وهوايته الأدبية لم تخرج به عن منهاج النبوة في الدين والدعوة فيما يتعلق بأصول الدين، ولم يأت بجديد في المنهاج ولما في الوسيلة، ولكن الله وهبه لساناً وقلماً يذكر بمزامير آل داود يجذب القارئ والمستمع إليه.

ولما جديدي في الدين منذ انقطع الوحي بموت محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة قال الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: 3]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسننني" وقال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عرضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".

وقبول الفكر الجديد المنحرف في التأويل استدراك على الله وعلى شرعه واتهام لرسوله بالتقصير في البيان واتهام لخيار أمته بالتقصير في الفقه.

9 - هذا الفكر المنحرف في التأويل - مع افتراض حسن النية - تسويل من النفس ووسوسة من الشيطان لصرف الناس بالفكر عن الوحي وبالظن عن اليقين وبالضنون الدنيوية عن علوم الشريعة وعلمائها، وصرف للناس عن الإيمان بالغيب إلى الإيمان بالشهادة والله أعلم بما يصليح عباده قال الله تعالى: (وَمَا مِنْ عِنَّا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ) [اليسراء: 59]، وقال الله تعالى: (إِنْ نَشَأْ نُذَلِّعْ لِعَلِّيهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) [الشعراء: 4].

10 - ظن (أحمد ديدات) قبل (زغلول المنجار) تجاوز الله عنهما أن إحاطته بالإنجيل تغنيه عن الإحاطة بشرع الله ومنهاج نبيه في تبليغه، وظن كثير من الصحفيين والعوام، وظن أشباههم من طلاب العلم أنه آت بما لم تستطع الأوائل، ولم يسألوا عن اعتقاده ولما عن مدى التزامه بالسنة في الدين والدعوة ومخالفته لأعدائها، وخالف نصوص كتاب الله وأوامره تجاوز الله عنه في مجادلة أهل الكتاب خاصة: (وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [العنكبوت: 46]، وغيرهم عامة: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: 125]، (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: 108]، وكانت النتيجة أن تحرك مناظروه من

النَّصاري للردِّ عليه وعلى دين الإسلام فاتَّهموا كتاب الله بالتناقض والركاكة وألَّفوا سُوراً يدَّعون أنها مثله رداً على اتِّهامه الإنجيل بمثل ذلك.

لم يقع (زغلول النجار) في المجادلة بالأسوأ ولم يقع (أحمد ديدات) في التأويل المنحرف فيما أعلم، ولكنَّ كلياً منهما خالف ما يسمِّيهِ تركي السديري (الاجتهاد السلفي الواحد) ويسميه أهل العلم: صراط الله المستقيم: نصوص الوحي بفهم أئمة السلف، وهو وحده الذي يتَّحدُّ به المسلمون وبدونه يتفرق المسلمون على دين الله ووحيه وكلماته بتفرُّق وتعدد واختلاف المعايير الفكرية: (كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) المؤمنون: 53.

والله ولي التوفيق.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين تعاوناً على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعدوان.